استخلاف الإنسان في الأرض والبيئة المسخرة له والمحافظة عليها

Divine arrangements for the establishment of Man's vicergency on the earth: An Islamic perspective

*الدكتور محمد ياسين
**معاذ عزيز

Abstract

This research deals with the preservation of vicergency of man and of his environment in the light of The Quran and Sunnah. It may be hypothesized that Allah almighty has taken special measures for the establishment of coherence and harmony between man and the universe. Man is the viceregerant of Allah on earth; therefore it is emphasized in Islamic teachings that a man has to play a pivotal role in creating peaceful, pollution free and congenial atmosphere throughout the universe.

Key words: Man's vicergency, Earth, Environment, Islamic teachings.

التمهيد:

الحمد لله الذي جعل الإنسان خليفة في الأرض ليعمرها ، وملّكه جوها وبرها وأبحرها ، وزينه بالعقل وأكرمه بالعلم ، ليعرف نعمة الله فيشكرها ، وسخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، فسبحان الذي خلقها وسخرها ، وسخر له الكون أفضل تسخير وجعله خليفة في الأرض وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.. ترتكز العقيدة الإسلامية على مبدأ جوهري وأساسي وهو تكريم الإنسان دون غيره من المخلوقات باعتباره أرقاها حيث خصه الله بميزة العقل التي لم يحصل على مثلها باقي المخلوقات. وقد أكد ذلك المولى سبحانه وتعالى في محكم آياته إذ يقول: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝ .(1)

وقد أتبع الله هذا التفضيل للإنسان بخلافته في الأرض فقال: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (2)

*محاضر زائر في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد .

**محاضر زائر بالجامعة الزرعية بشاور .

كما قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (3)

ومن هذا المنطبق فقد سخر المولى سبحانه كل إمكانيات الأرض من عناصر البيئة للإنسان نتيجة لخلافته في الأرض.

أن مفهوم الاستخلاف للإنسان هو خير رابط بين الإنسان وبيئته. وهناك العديد من الآيات الدالة على مدى الترابط بين الإنسان والكون. الإسلام وعلاقة الوفاق بين الإنسان والبيئة:إن خالق كلا من الإنسان والبيئة في الأصل واحد وهو" الله سبحانه" :الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين4 "وغايتهما واحدة وهي العبادة : وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ 5" .

والكائن البشري غير منفصل عن البيئة؛ فهو عنصر مميز من عناصرها -المسخرة له- ومكون فريد من مكوناتها، وعلى ضوء كل ذلك إذا فإن علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية لا تتحول إلى سيطرة بمسيطر عليه أو علاقة مالك بمملوك، إنما علاقة أمين استؤمن عليها بكل ما يعنيه من وفاق وانسجام وتكامل معها، وبكل ما يترتب عليه من سلوك يفترض أن الإنسان بفضل طاقاته الخلاقة، ومن خلال تفاعله مع البيئة سيواجه أحداث وتغييرات مستمرة لكل منها تغييرات يجب أن تمكث في إطار الحدود التي فرضتها السنن الطبيعية والخصوصيات البيولوجية والعقلية الثابتة للفطرة البشرية، لأن هذه السبيل هو الكفيل وحده للاستمرار في التمتع بالخيرات الطبيعية عبر الزمان والمكان.ومن ثم ضمان البقاء والاستمرار للجنس البشري بمختلف أحياله الحاضرة والمقبلة، ولأن هذا المنهج أضحت في إطاره الأمانة جزءاً من المؤتمن فهو الأقدر بذلك على تجاوز ما رسخته حضارة الصراع والسيطرة فيما بين الإنسان وبيئته، وما أفرزته من اضطراب وحيرة وخوف.ولهذا نرى أن الإسلام يحرص ويحث على حماية البيئة فحمايتها تعد اللسبيل الأقوم للحفاظ على الإنسان،

ونعالج ذلك في ثلاثة مباحث نتناول في أولها صور خلافة الله للإنسان، وفي المبحث الثاني نوضح أهمية عناصر البيئة المسخرة للإنسان، وفي المبحث الأخير موجبات خلافة الله للإنسان.

المبحث الأول: صور خلافة الله للأنسان

قد ذكر المولي جلت قدرته موضوعات هذه الخلافة في ثلاثة صور نذكرها فيما يلي:6

تسخير الأرض للإنسان :

بين المولي جلت قدرته أنه مهد الأرض للإنسان ليعيش عليها عيشة صالحة ، و يحيا فيها حياة كريمة، فقال تعالي:

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً (7

و يقول سبحانه :الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا
لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (8

و يؤكد المولي هذا المعني في محكم آياته ، فيقول تعالي:
الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى(9
الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10
أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (11
وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ(12

و يؤكد الله سبحانه و تعالي تمهيد الأرض للإنسان في معان أخري (13،

فهي "بساط" في قوله تعالي:
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (14
الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً (15

و هي "ذلول" في قوله تعالي:
هُوَ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (16

و هي "قرار" في قوله تعالي :
أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا (17

و تبعا لذلك فقد استخلف الله الإنسان في الأرض ليعمرها و يستثمر خيراتها بما توجبه الخلافة في الأرض.
و تسخير الأرض يشمل عموما ما هو ظاهر علي سطح الأرض من بحار وأنهار و أشجار و أنعام، كما أن تسخير ما بباطن الأرض يشمل ما بها من ثروات معدنية.

ومن آيات التسخير الأرض ما ذكره المولي سبحانه و تعالي :
أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ (18
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ (19

و يؤكد سبحانه و تعالي أن كل ما في الأرض ملك للإنسان و ذلك في قوله تعالي:
هُوَ الّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ (20
تسخير البحار و الأنهار للإنسان :

وضح الله سبحانه و تعالي تحت سيطرة العباد البحار و الأنهار للإنتفاع بها و بما تحتوي عليه من خيرات و ثروات .و قد أعلن ذلك المولي جلت قدرته في العديد من الأيات الكريمة خص فيها البحار بما يلي:

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا

مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (21

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (22

كما أوضح المولي جلت قدرته أهمية و فائدة الأنهار لحياة الإنسان علي الأرض لكونها أحد عناصر استقرار الطبيعة الأرضية و وذلك في الآيات الكريمة:

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (23 ويذكر الله سبحانه و تعالي تسخير الأنهار للإنسان في قوله تعالي:

وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (24

كما أوضح أهمية الماء الحياتية للإنسان و الحيوان و النبات ، فوجودهم يرتبط بوجود الماء، كما أن استمرار حياتهم متوقف عليه ، فيقول تعالي:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (25

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ (26

ويوضح المولي النقاء الطبيعي للماء و أثره في حياة الأرض و الكائنات فيقول تعالي:

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (27

و يبين المولي في محكم آياته أن الماء و هو المدد و الأساس لحياة الإنسان، هو من عنده لعباده في الأرض مما يوجب الشكر لرب العالمين، فيقول تعالي:

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ28(

وينبه المولى إلى خطورة نقص الماء على حياة الإنسان والكائنات، مما يلزم بوحدانية لرب هذه النعمة.فيقول تعالي:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (29

وبعد هذا البيان المعجز للمياه ومجاريها من أنهارٍ، أوضح المولى جلت قدرته أنه سخر الأنهار بنعمها التي لا نظير لها، ولا مكافئ لها، وهي نعمة الحياة وإستمرارها.

3- تسخير الهواء:

جاء ذكر الهواء بخصوص الرياح المسبب للأمطار وذلك إقترن ذكر الرياح في القرآن الكريم: "بالسحاب

والمطر"، والذي يبعث الحياة ويكفل إستمرارها، وهذه المعاني ذكرها الله جلت قدرته في الآيات التالية:
اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (30

و قد أوضح المولي عزت قدرته أنه يرسل الرياح لتبشير الناس بالخير، فيقول تعالي:
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(31

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (32

ولا يخفى ذلك أن الهواء عنصر حساس للبيئة الحياتية، فيدون الهواء النظيف لا تكون حياة أي من الكائنات فالهواء يدخل لنظام شامل للبيئة تنطوي على قدرٍ كبيرٍ من التكامل بين عناصرها والفوائد المتبادل بينها بحيث تبدو في إعجاز إلهي تبارك خالقها يقول تعالى:
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (33

المبحث الثاني :أهمية عناصر البيئة المسخرة للإنسان

أوضح المولى جل شانه الهدف من التسخير عناصر البيئة للإنسان وذلك بذكر الفوائد التي تعود عليه من استعمالها، وقد جاء ذلك بصدد الماء والرياح والأشجار والمزروعات، وهو ما نوليه بالذكر فيمايلي:

أولا: أهمية الماء:

يعتبر الماء عصب الحياة للإنسان وكافة المخلوقات الحية، هذا فضلاً عن الآيات التي وردت فيها مشتقات لكلمة الماء. وأوضح المولى تبارك قدرته أن الماء مصدر الحياة.

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (34
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (35

والأرض من غير الماء ميتة هامدة، فإذا أنزل الله الماء عليها فإنها تهتز وتربوا وتنبت من خيرات الله ثمراً طيباً ونباتاً لغذاء الإنسان والأنعام. ويلفت نظرنا المولى إلى الآثار الحيوية للماء في العديد من الآيات، فهو باعث الحياة الأرض في قوله تعالى:

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (36

فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(37

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (38

ثانياً: أهمية الرياح:

أوضح المولى أن الرياح حاملات للسحب التي تنزل منها الأمطار وقد جعلها مولى بشيراً بالخير بما تحمله من سحاب ثقال تحيا ميتاً. وأفرد المولى بالذكر إحدى الفوائد للرياح وهي كونها وسيلة للتلقيح اذ تنقل حبوب اللقاح اللازمة لإنبات الثمار وإخراجها للحياة.فيقول تعالي:

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(39

ثالثاً: أهمية الأنعام:

اختص الله سبحانه وتعالى الأنعام ببيان علاقتها بالإنسان والفوائد التي يكتسبها الإنسان منها من لحومها وألبانها، فأوضح المولى أن خيرات الأرض التي تسببها المياه هي متاع للإنسان والأنعام فقال تعالى:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ(40

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا(41

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (42

رابعاً: أهمية الأشجار والنبات:

أوضح المولى جلت قدرته بأنه أنزل الماء من السماء لتخرج الأرض نعمها من نخيل وأعناب وزيتون ورمان وغيرها من الفواكه والخضروات ليأكل منها الإنسان ويقيم بها أوده، وقد جاء ذلك في آيات نذكر منها:

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(43

الرسول ﷺ حث بدوره على حماية البيئة ومكوناتها، وليس أدل على ذلك من وصاياه التي أوصى بها جيشه في غزوة مؤتة وهو يتأهب للرحيل" :لا تقتلن امرأة، ولا صغيرًا رضيعًا، ولا كبيرًا فانيًا، ولا تحرقن نخلاً، ولا تقلعن شجرًا، لا تهدموا بيوتًا44) "هذا في الحرب ومن باب أولى في السلم.

ينبغي أن يكون ذلك منه بصفة متواصلة إلى آخر رمق في حياته يعمل دائما بالحكمة القائلة" :غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون "ولا يغيب عن ذهن المسلم ذلك الحديث الشريف الذي دعا إلى الغراسة دائما ...حتى ولو كانت الساعة تقوم؛ عن هشَامِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا "45 ...إنه منتهى الأمل وتواصل العمل بدون كلل. وانسجامًا مع هذه التوجه فقد سار أصحاب رسول الله ﷺ وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه على نفس الدرب حيث قال في هذا السياق" : وَفِي حَدِيثِ مَالِكٍ،عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ،: أَنَّ أَبَابَكْرٍالصِّدِّيقَ،بَعَثَ جُيُوشًا إِلَى الشَّامِ،فَخَرَجَ يَمْشِي مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ،فَذَكَرَالْحَدِيثَ،ثُمَّ قَالَ: " ،إِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ:لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً،وَلَاصَبِيًّا،وَلَاكَبِيرًاهَرِمًا،وَلَاتَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا،وَلَاتُخَرِّبَنَّ عَامِرًا،وَلَاتَعْقِرَنَّ شَاةً،وَلَابَعِيرًا إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ،وَلَاتَحْرِقَنَّ نَخْلًا،وَلَا تُغَرِّقَنَّهُ،وَلَاتَغْلُلْ،وَلَاتَجْبُنْ "46"

المبحث الثالث موجبات خلافة الله للإنسان

تقديرنا أن خلافة للإنسان في الأرض بما تضمه عناصر بيئته – يلتزم الإنسان معها بحماية ما استخلف فيه، وعدم إساءة استغلال ما أفاء الله علينا به من عناصر الخير، وخاصة عدم الإسراف في استهلاكه.

المطلب الأول:

أولاً: حماية ما استخفلنا فيه:

بمفهوم القانون الوضعي – فإن الإستخلاف يعني الحلول في الإدارة والإنتفاع بالمال المستخلف فيه، ولا يعني السلطة المطلقة في التصرف في الشيء بإعدامه أو هداره أو إيذائه أو المساس به بلا موجب أو مقتضى.

وعلى ذلك فإنه إذا كان الله جلت قدرته قد سخر لنا الماء لنخرج من الأرض النبات والفاكهة، فإن استعمال كل الوسائل المفيدة في الزراعة بحماية النبات من الآفات هو أمر مرغوب، ويتفق مع الغاية من تسخير الأرض للحصول على منافعها، غير أن استعمال المبيدات عالية السُّمية أو التجاوز في استعمالها لمكافحة الآفات الزراعية مما يؤدى إلى أضرار أخرى في عناصر البيئة عند صرف الماء الملوث في مجارى الصرف – من قتل الأسماك والكائنات الحية، وقتل الطير – رغم ماله من منافع للإنسان وبعضها قد سخره الله لحماية الزرع من الديدان والآفات.

والآفة الكبرى وصول مياة صرف الزراعة بما تتضمنه من سموم كيميائية إلى مجارى المياه العامة – مما قد يضر بالإنسان ويصيبه بأمراض يستعصى شفاؤها مثل الفشل الكلوى وما يصاحبه من تعطل في سنن الحياة، أو التضخم الكبدي وما قد يؤدى إليه من الوفاة.

ثانياً: عدم الإسراف في استهلاك خيرات الله:

يقوم منهاج الإسلام على السماح للبشر بالتمتع بخيرات الله المباحة، ولا يرد على ذلك من قيد إلا التزام المسلم بالتسامي وعدم الإفراط في استعمال خيرات الله بعدم الإسراف في استهلاكها، فقد قال المولى عزت قدرته: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (47)

فبهذا التشريع المساوي وضع الله مبدأ عدم الإسراف كالتزام على العباد، هذا وإن كانت الآية قد وردت في شأن الطعام والشراب، إلا أن المبدأ عام وشامل، فقد أتبع المولى الأمر بعدم الإسراف في الطعام والشراب، بقوله تعالى: "إنه لا يحب المسرفين". وأتت صياغة الآية القرآنية بصورة العموم لكل صورة الإسراف أياً كان موطنها، ويؤكد ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ - الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ(48)

وقد وردت الآية الكريمة على مطلق الإسراف، وهذا مبدأ من خلق الإسلام وطبيعته السمحة في بناء المواطن النقى المعتدل، والذي يتنافي تكوينه مع الإسراف، وتتعارض غاياته مع الغلو والتجاوز.

وعدم الإسراف ترجمة لمبدأ التوازن في شخصية المسلم، والتي من عناصرها عدم تحريم ما أحل الله وكذلك عدم الإسراف فيما أباحه الله لنا، فيقول المولى مصداقاً لذلك "لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا"(49)

المطلب الثاني : القواعد المنظمة لإستعمال عناصر البيئة

المحافظة على الماء:

أوضح المولى أن الماء هو أساس الحياة وأنه المنبت للجنات وحب الحصيد، غير أن الإنسان بفعله بتدخل في تغيير الصفة الأساسية لملاء بحيث يصبح غير صالح للاستخدام الإنساني أو للزراعة، بل لقد وصل الأمر إلى إفراز أكاسيد من المصانع مما يحدث المطر الحمضى والذي يسبب موت النبات والأشجار في دول أوروبا وأمريكا.

وقد حثنا المولى على المحافظة على الماء لخطورة ما يرد عليه من تغير في تركيبه أو يدخل عليه من شوائب تغير من نوعه وصلاحيته للاستخدام المعدله أصلا. فيقول المولى جلت قدرته أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ - أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ - لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (50)

وبذلك يوضح المولى أن الماء يلزم أن يون نقياً صافياً مثلما أنزله من السماء فلا تلحق به أملاح فيصحب أجاجاً – أي شديد الملوحة، أو شوائب تغير من طبيعته وصلاحيته للاستخدام الذي أعد له. كما يحرم النبي (ﷺ) تلويث الغذاء والماء بمفرغات البدن التي تحمل الجراثيم وتنقل العدوى، فيقول في الحديث الذي رواه، محمد بن عجلان : «أن رسول الله –ﷺ– نهى أن يبال في الماءالدائم،ثم يغتسل فيه من الجنابة».51

ولا يخفى أن تلويث موارد المياه بالبراز وما يشتمل عليه من جراثيم، عامل أساسي في نقل الأمراض، بصورة مباشرة من خلال الماء الملوث، أو غير مباشرة من خلال تلوث الخضراوات والثمرات التي تسقى بهذا الماء. وفي ذكر الظل لمسة لطيفة، لان ما يكون في الظل لا تطهره الشمس، فيبقى مرتعاً خصباً للجراثيم ويعمل على تكثيرها .

ومن مفاهيم الطب الوقائي في الطب النبوي أن رسول الله (ﷺ) أمر بالوقاية من البلهارسيا قبل أن تعرف البشرية هذا المرض الخطير بمئات السنين.

«أن رسول الله –ﷺ– نهى أن يبال في الماءالدائم،ثم يغتسل فيه من الجنابة» 52. وفي، هذا الحديث حارب النبي ﷺ البلهارسيا وغيرها من الأمراض ، ذلك أن الماء الراكد إذا بال فيه الإنسان وخاصة إذا كان مصابا بمرض ما ينقل العدوى إلى سواه. وفي قول الرسول الأعظم (ﷺ) حكمة نبوية طبية جليلة القدر وهي أن الماء الجاري نقل فيه العدوى إن لم تنعدم .

دور الماء الملوث في نقل الأمراض:

كثيرة هي الأمراض التي تنتقل بالماء الملوث، ولاسيما تلك التي تسببها بعض الجراثيم أو الطفيليات التي يحتوي عليها براز الإنسان المريض أو بوله، وفي مقدمتها الحمى التيفودية (التيفود) وداء البلهارسيا المنشقات) وداء الديدان الشصية (الملقوات أو الانكيلوستوما) وسائر الديدان.

أما الحمى التيفية (التيفود) فتكون جراثيمها في أمعاء الإنسان ودمه وبوله. فاتصال بول المصاب بها أو اتصال برازه بالماء، يمكن أن يؤدي إلى نقل جراثيمهاإن كانت فيه. ولقد كان الماء من أهم وسائل نقل هذا المرض وانتشاره في الناس قبل اتخاذ الوسائل الحديثة لتطهيره ومراقبته في البلدان الراقية، ولكنه مازال عامل مهما في نقلها في البلدان النامية.

وأما مرض البلهارسيا (أو داء المنشقات،، فهو مرض يتصف بالتهاب في المثانة (يتجلى بتبول الدم) أو التهاب قي القولون (يتجلى بالزحار (الدوسنطاريا،). وتنطرح بيوض الطفيلي مع البول في النوع الأول، ومع البراز في النوع الثاني. حتى إذا ما بلغت الماء، ولاسيما الماء الراكد القليل الحركة، فإنها تنفقس عن يرقة صغيرة، لا تلبث أن تدخل أحد أنواع الحلزون أو في ذوات القواقع، حيث تتخلق فيه خلقاً من بعد خلق، حتى تتحول إلى يرقة ذات ذنب، تدعى الذانبة (سركاريا). وهذه الذوانب تسبح في الماء، حتى

تصادف إنساناً يغتسل في الماء، أو يسبح فيه، أو يغسل فيه ثيابه، أو يشرب منه، أو يخوض في ماء الري، وإذ ذاك تخترق بشرة الجلد، بأن تدس نهايتها الأمامية في الجلد وتستغني عن ذيلها.

وفي غضون أربع وعشرين ساعة، تكون الذوانب قد وصلت إلى الدم، فتجول في الدوران الدموي، ثم ينتهي بها المطاف إلى داخل الكبد، حيث تكبر وتبلغ وتتزاوج، ثم تهاجر إلى جدران المثانة أو الأمعاء لتبيض.

وواضح أن السبب في استمرار هذه الدورة الموذية، هو مواصلة التبول أو التغوط بشكلٍ يصل معه البول أو البراز إلى المياه السطحية، ولا سيما المياه الراكدة، وأن الوقاية تكون بالامتناع عن هذا الفعل الذميم، الذي نهت عنه الشريعة الإسلامية نهيا واضحا صريحا.

وأما الديدان الشصية فهي ديدان تكون في الأمعاء، وتحدث في المصاب بها الماً بطنيا موجعاً. وبعد مدة يظهر فقر الدم الشديد، وتصير الأغشية المخاطية كلها شاحبة جدا، وينتفخ الوجه وتتورم الرجلان وقد يظهر في المريض استسقاء، أي تراكم السوائل في أنسجته وأجوافه (جوف البطن مثلا). وإذا لم يعالج المرض ، فيعم الاستسقاء جميع الأطراف، أو ينحل المريض ويهزل جدا حتى تبدو عظامه، ولكنه على كل حال يبقى منتفخ البطن بالسوائل، حتى يموت.

وبيض هذه الديدان التي تنطرح مع البراز، وتفقس عن يرقاتها إذا وجدت تربة رطبة، كأرض الحقول أو المزارع أو

المناجم، فإذا لامسها إنسان نفذت من جلده مباشرة ، وتابعت مسيرتها فيه حتى تبلغ الدم، ثم تصل بالدوران إلى الكبد ثم الرئة ثم الأمعاء. وأكثر من يتعرض لعدواها الزراع وعمال المناجم، ولكنها ا، كذلك تهاجم الأطفال الذين يخوضون فى الوحل الموبوء بها حفاة فيصابون بها. وواضح أن الوقاية منها تقوم على الحيلولة دون وصول شيء من الغائط إلى سطح الأرض ولاسيما في الظل ، إذ يحافظ الظل على الرطوبة اللازمة لحياة اليرقات، ويحفظها من التأثير المطهر الذي تتصف به أشعة الشمس. يتبين مما تقدم، أن وقاية الماء من التلوث ونقل "عدوى الأمراض الآنفة الذكر تتلخص في أمرين اثنين:

(1) منع وصول جراثيم هذه الأمراض وطفيلياتها إلى الماء أو التربة الرطبة.

(2) عدم تعريض الإنسان نفسه إلى عدواها بنزوله في الماء الذي يحتمل أن يحتوي عليها، وهو على الخصوص الماء الراكد القليل الحركة.

وهذا هو بالضبط ما ورد في الهدي النبوي من ضوابط. فقد وردت الأحاديث الصحيحة التالية عن النبي (ﷺ):"

1- : «أن رسول الله -ﷺ- نهى أن يبال في الماءالدائم،ثم يغتسل فيه من الجنابة».53

2- " اتقوا اللاعنين (أي الأمرين الجالبين اللعنة لفاعلهما) قالوا: وما اللاعنان ؟ قال: الذي يتخلى (تغوط)، في طريق الناس وفي ظلهم "54 .

3- " اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل " 55''

ففي هذه الأحاديث تحريم التبول التغوط في الموارد، وهي جميع المصادر التي يستقى منها الماء وهذا من جهة لفت نظر للمرء إلى أن هذا الماء الذي يبول فيه الآن قد يستحم فيه فيما بعد ، وهي وسيلة تربوية لجعله يستنكر ذلك ؛ ومن جهة أخرى وقاية للآخرين ، لأن التبول في هذه المياه الراكدة الساكنة التي يستحم الناس فيها عادة (ومنها الترع والمسابح) مدعاة لعدوى الأمراض. وفي هذه الأحاديث أيضاً النهي عن التغوط في الظل. وفي هذا بالإضافة للناحية الاجتماعية التي تقبح أمكنة اعتاد الناس أن يستريحوا فيها، إشارة مهمة إلى الناحية الصحية، لأن أماكن الظل لا تتعرض إلى أشعة الشمس القوية بما فيها من خصائص قاتلة للجراثيم. وقد تقدم أن الظل يحافظ على، الرطوبة اللازمة لحياة يرقات الدودة الشخصية . ويقاس على البول والبراز كل ما يتلوث به الماء، ويصيب الإنسان في صحته، كإلقاء فضلات المصانع، والحيوانات النافقة، والقمامة، في الأنهار والترع والمصارف، وكذلك غسل الملابس الملوثة بالجراثيم في مياهها، وكل ما يؤدي إلى إفساد البيئة، وإهلاك ما فيها من حيوان أو نبات. فقد قال الله عز وجل: " وَلَا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا "56 ، وذم سبحانه كل شخص" وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ " 57.

لأجل هذا دين الإسلام حث على حفاظ البيئة وحمايتها ويدعوا إلى عدم الإسراف ومن ثم استنزاف الموارد الطبيعية وتبديدها، ورد في القرآن الكريم في هذا الشأن وتكلمنا عنها في المباحث مسبقاً.

وورد أيضًا ''حديث رسول الله ﷺ عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال : "ما هذا السرف؟ "فقال" :أفي الوضوء إسراف؟ "قال" نعم وإن كنت على نهر جارٍ58) "''

المحافظة على الأرض اليابسة:

ولقد حذر الله سبحانه في مواضع متعددة من كتابه الكريم من الفساد في الأرض.. والفساد البيئي جزء من هذا الفساد في الأرض بل هو أول ما يتبادر إلى الذهن في هذا المقام. فقد قال عز من قائل: " كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ "59وقال جل شأنه:" ولا تفسدوا في الأرض " وقال سبحانه: وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"60. وقد نهى كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقوامهم عن الفساد في الأرض .

بل قد خص الله بالذكر ذلك النوع من الفساد الذي يستأصل النبات والحيوان فقال: ''"وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ " 61. ''

قال الإمام ابن حزم في المحلى محتجاً بهذه الآية: " فمنع الحيوان ما لا معاش له إلا به من علف أو رعي، وترك سقي شجر الثمر والزرع حتى يهلكا، هو بنص كلام الله تعالى فساد في الأرض وإهلاك للحرث والنسل، والله تعالى لا يحب هذا العمل ".

وقد حرص النبي (ﷺ) على تشجيع الزراعة بما يزيد الثروة النباتية ويضيف إلى البيئة الصالحة فقال:" لا يغرس المسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة " 62وقال: " من أحيا أرضاً ميتة فهي له " 63 ونهى في مقابل ذلك نهياً شديداً عن قطع الشجر فقال: " من قطع سدرة (يعني دون مبرر) صوب الله رأسه في النار ! " (رواه أبو داود عن عبد الله بن حبشي). 64

وكان النبي (ﷺ) أول من أنشأ محميات بيئية لا يجوز قطع شجرها ولا قتل حيوانها. فقد " حمى رسول الله (ﷺ) كل ناحية من المدينة بريداً بريداً (والبريد اثنا عشر ميلاً): لا يخبط (ينزع) شجره، ولا يعضد (يقطع)،إلا ما يساق به الجمل " 65وكان النبي (ﷺ) " ينهي، أن يقطع من شجرة المدينة شيء " 66 وقال عن المدينة "إني أحرم ما بين لا بتى المدينة: أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها "67. ولا يخفى ما للتشجير والخضرة من آثار هامة لحفظ التوازن البيئى وتوفير المناخ الملائم للحياة حيث تقوم النباتات بعملية التمثيل الضوئى فتوفر الأكسيجين اللازم لتنفس الإنسان والحيوان وتخلص البيئة من ثانى أكسيد الكربون فتأمل الإعجاز فى ذلك!

الاهتمام باستزراع النباتات وحمايتها لم يكن وليد العصر ، ولا من محدثات الزمن ، بل دعا اليه الإسلام منذ أربعة عشر قرناً فقد كان الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم يرغب أصحابه ويدعوهم إلى استزراع النباتات وحمايتها والمحافظة عليها من أحاديث الرسول في هذا المجال " ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرا أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة " 68 و قال ﷺ "من أحيا أرضاً وعرة من المصر أو ميته من المصر فهي له"69. و قال ﷺ "ما من إمريء يحيي أرضاً فيشرب منه كبد حراء وتصيب منها عافية إلا كتب الله به أجراً"70 و عَنْ عُرْوَةَ قَالَ " أشهد أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قضى أن الأرض أرض الله والعباد عباد الله فمن أحيا موتها فهو أحق به"71. و قال صلي الله عليه وسلم" إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها72 .

والمقصود بذلك هو التربة الزراعية والأرض اليابسة، فلا يجب تدنيس الأرض بالمخلفات أو بالشوائب الضارة. فقد جاء الحديث الشريف " وجعلت لي الأرض مسجداً طهوراً" وموجب ذلك تحريم تلويث الأرض بالملوثات لأن ذلك يمس الطهر لها.

وقد اعتبر الإسلام التبرز في الطريق سبباً للعن صاحبه، ففي حديث الرسول الكريم:

"""اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وفي قارعة الطريق، وفي الظل" وفي حديث آخر "فإن ذلك يستوجب لعنة الله وملائكته والناس أجمعين"""73

فبهذا الحديث الكريم يتقرر مبدأ تحريم تلويث الطريق بصة عامة، كما يتضمن التزاماً إيجابياً دينياً بإزالة سبب التلوث الذي يحدث أذى للناس في طريقهم، وهو ماينصرف ذلك لكل المخلفات سواء كانت صناعية أو زراعية بتحريم إلقائها في اليابسة أو الماء بما يسبب أي للإنسان، ويلزم الإسلام كذلك برفع الأذى من موقعه، وهذا المبدأ فيه استجابة للقاعدة الشرعية "لا ضرر ولا ضرار"، وهو مبدأ من أصول العلاقات الاجتماعية في الإسلام – فكل ما يسبب ضرراً محرم شرعاً، وكذلك لا يقبل الإضرار بالغير بلا مبرر شرعي لذلك.

لعل ذلك الهدف لمنع انتشار الأوبئة والجراثيم عند حدوثها في مكان ما فالإسلام يلزم الإنسان بعدم دخول أرض بها مرض معد، كذلك عدم الخروج منها إذا كان فيها حتى لا ينقل العدوي إلى الغير ويصاب الآخرون بضرر المرض، فقد نقل أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:" " إِذَا كَانَ الطَّاعُونُ بِأَرْضٍ وَأَنْتُم لْيْسَ بِهَا فَلا تَدْخُلُوهَا وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا مِنْهَا"74."

المحافظة على المجتمع الهادئ:

وهذا من حق الإنسان أن يعيش الفرد في مجتمع هادئ بعيداً عن الضوضاءلأنها ذات تأثير ضار على صحة الإنسان – وعلى إنتاجه خاصة الفكري.

"والسكينة بمعنى هدوء النفس هي ما جاءت في حديث رسول الله ﷺ فعن أبي سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا".

وقد قطع القرآن الكريم في تحريم رفع الصوت وحث على خفضه حماية لسكينة الناس وهدوئهم وراحتهم.

نتائج البحث:

نوضح أن عناصر البيئة المختلفة في كوكب الأرض سواء على ظهر هذا الكوكب أم في باطنه أم فيما يعلوه من أجواء بدرجات مختلفة – كل ذلك قد سخره الله للإنسان وجعله الله خليفة له في الأرض لينتفع بثمار الحياة والتي صاغها المولى عزت قدرته بأساليب وطرائق تفوق قدرة العقل البشري وتتجاوز قد رأت الإنسان ونتيجة لذلك، فإن الإنسان ملزم بحسن استغلال ما استخلف فيه.

كما أن خلافة الإنسان في الأرض تلزمه بعدم إلحاق الأذى بما أؤتمن فيه، ومخالفة ذلك يعتبر فساداً في الأرض يعاقب عليه المولى في الدنيا والآخرة.

والعقاب في الدنيا – جزاء ما أتته يد الإنسان من عدوان على البيئة – أكتشفه وأوضحه العلم الحديث والمتمثل في الآثارالوخيمة للتلوث والتي تصيب الإنسان بأمراض بعضها لا يشفى، وبعضها يسبب الألم للإنسان، وقد تنتهى به حياته.

أما العقاب في الآخرة فأساسه مخالفة حكم الله وأوامره ونواهيه بعدم الإفساد في الأرض.

من ذلك يتضح أن المحافظة على البيئة هو مبدأ ديني إسلامي يعاقب الله عن عدم الانصياع لحكمه سواء تم عن قصد وتعمد أو بإهمال في إعمال موجب التوجيه والأمر الإلهي.

ومن جانب آخر فإن الإسلام الحنيف يقرر مبدأ تعمير الأرض، وقد ثبت علمياً أن الحفاظ على البيئة لا يكون إلا بالتعبير، ومن ذلك الزراعة والإكثار من الأشجار والغابات.

ولعل من سمات الإسلام الإنسانية في التعامل مع البيئة تطبيقات كثيرة نعرض لها عند معالجة هذا المبدأ.

كل ذلك يؤكد أن النظام الإسلامي للبيئة ليس مجرد رؤية – بل هو في واقعه منظور الإسلامي للبيئة يقوم على فكر ودعائم راسخة.

وهو ما يلزمنا أن نعرض للمبادئ الأساسية لنظام البيئة الإسلامي، والذي يقوم على عمارة الأرض، والإنسانية في التعامل مع مكونات البيئة، وأخيراً الطابع العقائدي لقواعد البيئة الإسلامية.

والحمدلله رب العالمين.

الهوامش

[1]– الإسراء:70

[2]– البقرة: 30

[3]– الأنعام: 165

[4]: السجدة: 7

[5]: الرعد: 15

[6]) د.ابراهيم بدران :الإسلام و الحفاظ علي الإنسان و البيئة– محاضرة بالجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة

[7]) غافر : 64

[8]) البقرة : 22

[9]) طه : 53

[10]) الزخرف : 10

[11]) النبأ: 6

[12])الذاريات : 48

[13]) المركز العربي للإعلام البيئ : منهج الإسلام في الحفاظ علي البيئة.

[14]) نوح : 19–20

[15]) البقرة : 22

[16]) الملك: 15

[17]) النمل: 61

[18]) لقمان : 20

[19]) الحج: 65

[20]) البقرة: 29

[21]) النحل : 14
[22]) الجاثية : 12
[23]) النحل : 15
[24]) ابراهيم : 32
[25]) البقرة : 164
[26]) الأنعام : 99
[27]) الفرقان : 48،49
[28]) الواقعة : 68-70
[29]) الملك : 30
[30]) الروم : 48
[31]) الروم : 46
[32]) الفرقان : 48
[33]) البقرة : 164
[34]) الأنبياء : 30
[35]) النور : 45
[36]) النحل: 65
[37])الروم : 50
[38]) الحج : 63
[39]) الحجر : 22
[40]) السجدة : 27
[41]) الفرقان : 48-49
[42]) عبس : 24-32
[43]) الأنعام : 99
[44]) السنن الصغير للبيهقي (3/ 387)
[45]) معجم ابن الأعرابي (1/ 117) باب ي.
[46]) موطأ امام مالك (3/ 636)
[47]- الأعراف: 31
[48]- الشعراء: 151-152
[49]- المائدة: 87
[50]- الواقعة: 68-70
[51]) أخرجه البخاري (68/1) والنسائي (197/1)
[52]) أخرجه البخاري (68/1) والنسائي (197/1)
[53]: أخرجه مسلم (282) بمعناه، والنسائي (399)، وأحمد (7868)، وابن ماجه (344) باختلاف يسير، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (3069) واللفظ له
[54]: شرح النووي على مسلم، كتاب الطهارة ، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال،حديث رقم :269
[55]: سنن أبو داوود ، كتاب الطهارة ، رقم الحديث :26

[56]: الأعراف : 85

[57]: البقرة: 205

[58]) سنن ابن ماجه (2/ 16) كتاب الطهارة باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي

[59]: البقرة: 60

[60]: القصص: 77

[61]: البقرة: 205

[62]) أخرجه البخاري في المزارعة (1) عن قتيبة –وعبدالرحمن بن المبارك – وفي الأدب (27:5) عن أبي الوليد،ومسلم في البيوع (23:6) عن يحيى بن يحيى،وقتيبة،ومحمد بن عبيد بن حسان –.

[63]) أخرجه أحمد (313/3) ،والدارمي [2610] ،والنسائي في الكبرى [2385/التحفة] .

[64]) سنن أبى داود (13/ 480) باب في قطع السدر.

[65]) سنن أبى داود (5/ 411) باب ما جاء في تحريم المدينة.

[66]) المعجم الكبير (11/ 335) أحاديث عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما

[67]) أخرجه أحمد (181/1) (1573) قال : حدثناابن نمير. وفي (184/1) (1606) ومسلم (113/4) والنسائي في الكبرى تحفةالأشراف (3885)

[68]) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ،وأخرجه النسائى (113/5و16/6)

[69]) وأخرجه أحمد 363/3 والمثبت من "مجمع الزوائد" 157/4

[70]) رواه الطبراني في المعجم الأوسط والكبير

[71]) سنن أبى داود (8/ 314) باب إحياء الموات

[72]) معجم ابن الأعرابي (1/ 117) باب ي.

[73]: سبق تخريجه

[74]) مسندأحمد (44/ 296) حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه